العرب
الإثنين 2020/10/26
السنة 43 العدد 11862

رؤية النحات السوري مصطفى علي للعالم ثلاثية الأبعاد

صنع الفنان التشكيلي السوري مصطفى علي لنفسه مكانا خاصا في النحت السوري والعالمي عبر رحلة طويلة غنية بالإبداع والتجارب الخارجة عن المألوف، والتي تعكس رؤاه الخاصة للحياة والإنسان وكأنه يغرف الأفكار من بئر لا تنضب.

دمشق – بدأ النحات السوري مصطفى علي مشواره مع النحت في سن مبكرة في بيئته الساحلية الفطرية بمحافظة اللاذقية، وتلمّس طريقه الفني مع دراسته في كلية الفنون الجميلة، ليقيم أول معرض نحتي فردي له عام 1988، والذي كان لأعمال بخامة البرونز الأصعب في فن النحت.

وعن رحلته مع عالم النحت يقول علي "الموضوع الأساسي الذي يجذبني على الدوام هو الإنسان والأسلوب التعبيري لإنتاج العمل الفني، وغالبا ما أنتقي شخوص أعمالي دون الاهتمام بالشكل الخارجي بل ما يهمني هو الجوهر ما أعطى لتجربتي صفة التريّث".

> النحات السوري يؤمن بأن تغيير الواقع نحو الأفضل يأتي عن طريق الفن باعتباره حاجة أساسية في حياة الإنسان

وأوضح علي أن الموضوع الأساسي الذي يسعى لتجسيده عبر منحوتاته هو قصة بحث الإنسان عن الخلود وفلسفة علاقة الشكل بالفراغ، إضافة إلى البيئة وأثرها على الإنسان مع جغرافية المكان اللذين لعبا دورا كبيرا في تشكيل وتكوين أعماله مع تأثير التاريخ.

والنحات خبر منذ طفولته خامة الطين وبعدها دخل في عالم معدن البرونز تلك المادة النبيلة التي تعيش طويلا مع الزمن، ثم عمل على توليف الخشب مع معدن البرونز لينتقل بعدها إلى العمل مع خامة الخشب منجزا معها أعمالا ضخمة ومن ثم قدّم تجربته الغنية مع المعادن مثل الحديد والكروم وبقايا المدمرات التي خلفتها الحرب.

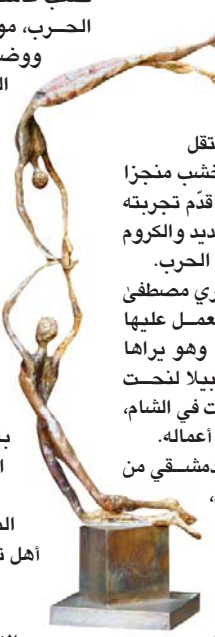

ولا يكتفي النحات السوري مصطفى علي بنحت المواد التي يعمل عليها كالخشب والبرونز والحجر، وهو يراها على اختلاف موادها سبيلا لنحت الماضي من خلال ذاكرة تشكّلت في الشام، المدينة التي يستحضرها في أعماله.

ويفوح عبق التاريخ الدمشقي من أعمال النحات السوري، وكذلك رائحة مدينة أوغاريت التي ولد فيها وينتمي إلى حضارتها وطبيعتها، وشكّلت أولى علاقته مع المادة.

وهو يرى العالم منذ طفولته ثلاثي الأبعاد، وهذا ما دفعه إلى الكتلة والشكل، الأمر الذي جعله يقدّم الكثير من الإنجازات الهامة التي أكسبته مكانة عالمية، ولكنه ما زال إلى اليوم يقدّم سوريا بتاريخها القديم ووجعها الآني، ونراه متفائلا رغم كل ما يحدث.

وعن تأثير الحرب في أعماله يقول علي "كان للحرب تأثير نفسي كبير في كل السوريين، ولكن التأثير عندما يتفاعل مع الواقع يصبح إيجابيا، فأنتجت خلال السنوات العشر الماضية أعمالا من بقايا الحرب ومن الشظايا التي عصفت ببلدي وبنيت أشكالا قائمة على الدمار، ولكن بإرادة العودة إلى الحياة".

ويعتبر النحات علي منزله في دمشق القديمة جنته التي يعشقها، ما دفعه لتحويله إلى غاليري أصبح اليوم بمثابة مؤسسة ثقافية وفنية لها مكانها على خارطة الأماكن الثقافية الفاعلة مستقبلا زوارا ومتابعين من كل أنحاء العالم.

وعن الغاليري يقول "لدينا مشاريع ثقافية ساهمت في تنشيط الحركة الفنية في دمشق خلال السنوات الماضية، وكانت أبوابنا مفتوحة لكل محبي الفن من الجمهور ولكل الفنانين ولاسيما الشباب، لأنني أؤمن أن تغيير الواقع نحو الأفضل يأتي عن طريق الفن باعتباره حاجة أساسية وضرورية في حياة الإنسان".

ويؤكّد علي أن الفن السوري خلال الحرب على سوريا خلق حالة من التفاعل بين الفنان والواقع من خلال اتجاهه إلى حالة جديدة بأسلوبه ومواضيعه وألوانه، حيث صاغ الفنانون السوريون أنفسهم من جديد لمقاومة ما حل ببلدهم.

ومصطفى علي الذي لم يتوقف لحظة عن الإنتاج الفني يؤكّد أن لديه الآن عشرة آلاف رسم مبدئي لأعمال تنتظر التنفيذ بمختلف الأحجام، والتي تحمل التجديد في عمله بأسلوب يعبّر بقوة عن واقع صعب عاشه السوريون خلال سنوات الحرب، موضحا أنه عالج نفسه بالفن ووضع كل أفكاره على مواقع التواصل الاجتماعي بهدف إيصال رسالة أن الإنسان السوري قادر على الإبداع والعطاء في أصعب الظروف وأحلكها.

ولا يخفي الفنان السوري تأثّره بالحضارات التي تعاقبت على سوريا، والتي ألهمت منجزه الفني، ومن بينها تدمر، إذ يرى هذه المدينة من أعظم المدن في التاريخ، وكانت مدهشة بالنسبة إليه، وفيها الكثير من الحياة.

ويقول "أكثر ما يعجبني في المدينة، هو فن الموت، ففلسفة أهل تدمر في الحياة شيء مختلف عن فلسفة الوجود والموت والجنائز، فيمكن أن نلاحظ الانتقال من الأرض إلى السماء، حيث يصبح الفن شيئا متجذّرا من الأرض ويصعد عموديا إلى السماء، فالموت هو الخلود، وليس النهاية".

ويتابع "الفن التدمري فيه الذاكرة والحاضر، وسؤال الوجود، ومسألة الخلود التي كانت أساسية في تجربتي الفنية، فالإنسان يرتكز على الماضي، ولكنه في الأخير لا بد من أن تكون أقدامه في الحاضر، ولهذا أثرت فيّ كثيرا".

تجربة فنية ترتكز على معنى الوجود

«تاد» في معرضه الثاني عشر رغم الرحيل

القاهرة تستعيد مسيرة الرسام ناجي شنبو الناهل من ينابيع الوعي الشعبي

تمثل الموروثات الشعبية جزءا من ذاكرة الإنسان المصري، وتعكس علاقته بكل ما يحيط به من موجودات، وهي علاقة بدأها منذ فجر التاريخ، وشكّل بها منظومة حضارية متكاملة بكل مقوماتها الثقافية والإنسانية والوجدانية، لذلك يميل إلى حب الماضي، وهو ما أسهم في ازدهار فنونه القديمة.

ندى علي
كاتبة مصرية

أسلوب شاعري ساخر يميل إلى السريالية

القاهرة – افتتح الأحد، بغاليري بيكاسو بالقاهرة معرض استيعادي لأحد أبرز التشكيليين المصريين، وهو الفنان الراحل ناجي ميشيل شنبو الشهير بـ"تاد"، حيث تغوص الرسومات في التضافر الفريد بين الأصالة والمعاصرة، كما قدّمه الإبداع الذي يتسلل من ثنايا أعماله عبق يستدعي ذكريات التجوال في الحارة المصرية، ليأخذ المتلقي إلى قلب الحياة في المحروسة مصر، لاسيما واقع البسطاء والباعة والمشترين في الأسواق الشعبية.

إحياء الذاكرة

تاد الذي توجّه إلى ينابيع مصر، وقدّمها وفق رؤيته الخاصة، لم يصوّرها كما تبدو بشكل مباشر ولم يحوّرها أو يغيرها، لكنه خرج بها في صورة، أو بالأحرى توليفة متنوعة تتغنى بتفرّد، وهو الذي سلّط الأضواء على دراما الحياة فيها، وأبطالها الحقيقيين، مثل باعة الفاكهة والعرقسوس والبطاطا والخبز والسقا والبوسطجي، إضافة إلى احتفائه بالمرأة والحب والسلام وبثّ الإحساس بالسعادة والتفاؤل، من خلال أسلوب شاعري ساخر يميل إلى السريالية.

ورغم رحيله عام 2007 لا تزال أعماله التي نشرت في مجلتي "صباح الخير" و"روزاليوسف" منذ عام 196، وجريدتي "الأهرام إبدو" و"إيجيبشين جازيت"، حاضرة في الذاكرة المصرية، وموضوعا لمعارض استيعادية تُقام من حين إلى آخر.

ويقول رضا إبراهيم مدير غاليري بيكاسو بالقاهرة الجديدة لـ"العرب"، هذا المعرض يأتي في إطار المعارض الاستيعادية التي يهتم بها الغاليري، فإذا كانت محركات البحث العالمي على شبكة الإنترنت تحتفل بهم وتقدّرهم، والمزادات الدولية تشهد بيع أعمالهم بأرقام كبيرة، فهل يليق أن تقصر القاعات المصرية في تكريمهم؟

> لوحات تاد توثيق للحياة اليومية والمهن التراثية، حيث يتسلل من أعماله عبق يستدعي ذكريات التجوال في الحارة المصرية

وتعمل مثل هذه المعارض على إحياء الذاكرة الفنية عند المتلقين والمقتنين، ويُعد معرض تاد بغاليري بيكاسو، نوعا من التعبير عن امتنان عميق لمبدع قدّم الكثير للفن المصري.

ويضم المعرض نحو 30 عملا تلقي الضوء على جوانب عديدة في تجربته ومسيرته المهمة، والتي تحرّر فيها من القواعد الأكاديمية للفن، وحفر لنفسه مكانة مستقلة بين أبناء جيله والأجيال التالية بعده.

ويضيف إبراهيم "كانت العلاقة مع تاد ممتدة منذ التسعينات من القرن الماضي وحتى وفاته، وأستطيع القول بصدق إنه على المستوى الإنساني كان شديد البساطة، وقد رسم المصريين بالبساطة نفسها، وجاءت أعماله تاريخا لحياتهم، واحتفى بالحرف التراثية والمهن الشعبية ومتواضعي الحال، مثل القهوجي والبائع وعسكري المرور، والاهتمام بمهن اندثرت أو في طريقها إلى الاندثار، مثل ساعي البريد وبعض الحرفيين".

ويكتشف الزائر للمعرض المقام في الفترة من 25 أكتوبر حتى 15 نوفمبر المقبل، لماذا استطاع الفنان تاد أن يستحوذ على إعجاب قطاع كبير من قراء مجلة "صباح الخير"، فحين يتأمل أعماله يلمس بنفسه تماهي أسلوبه مع الطابع الشبابي الساخر للمجلة، الذي يبعث على البهجة والتفاؤل، ويحتفي بالجمال والتحرّر الفكري عبر أسلوب رصين.

وعندما يغوص المتلقي في أعماله ذات القياسات الصغيرة المرسومة بالحبر الأسود والألوان المائية، قد يستدعي من الذاكرة المقالات التي صاحبتها أو للبابين اللذين أسهم في تقديمهما بها، وهما "نادي القلوب الوحيدة" لمدة عشر سنوات، وباب لوحات "أنا والحياة" لمدة عشرين عاما، وقد يتذكّر المرء رسومه لمقدّمات بعض الأفلام الكوميدية أو الاجتماعية. ومن خلال ذلك كله تفجرّت لمسات فرشاته المليئة بشحنات من مشاعره وأحاسيسه وألوانه المشرقة بدرجات ناصعة الطاقة داخل جمهوره.

الزوجة الملهمة

مثلما كانت أعمال تاد تحمل نبض الشارع المصري، عبّرت أيضا عن رؤيته للمرأة وانحيازه المستمر لها، وأبرزت تقديره لمشاعرها وتوجساتها، فتناول عالمها الخاص بعذوبة واحتواء.

كانت زوجته جيهان سلامة، ملهمته وجسره إلى المزيد من فهم لغتها واستيعاب هذا العالم الغامض دوما، لأنها كانت زوجة وحبيبة وصديقة، وتدرك جيدا طبيعته كفنان يتوق إلى الحرية وتلتف حوله المعجبات، فلم تحاصره أو تقيد رسمه لأخريات.

وقالت لـ"العرب"، "أحببت تاد منذ طفولتي من جانب واحد في البداية، حيث نشأنا في حي مصر الجديدة، وكنت أرقبه عن بعد دون أن يلتفت إليّ، وظل الحال هكذا حتى جمعت الحياة بيننا، وعشنا أروع قصة حب قبل الزواج وبعده".

ومن هنا اهتمت السيدة جيهان بتنظيم معارض له في مناسبات خاصة، كعيد ميلاده وعيد الزواج، ومنذ وفاته وحتى الآن نظمت 12 معرضا لإحساسها أن ذلك يرضيه في مثواه الأخير.

وتعرف زوجة الراحل جيدا ماذا يعني له الفن، حتى ظل يرسم في المستشفى رغم تدهور حالته الصحية، وربما لا يعرف كثيرون بمرضه وعدم ذهابه لمجلة "صباح الخير"، لأنه كان يقدّم أعماله وتنشر فيها، وهو على فراش المرض. ورأت زوجته أن سبب وفاته الأساسي، هو حالة الاكتئاب التي أصابته بعد توقف يده عن الحركة وعجزه عن الرسم.

وأوضحت سلامة "ليست العاطفة وحدها وراء ما أنظمه له من معارض، إنما التقدير أيضا لدوره كفنان وناقد ورائد كبير، وإلقاء المزيد من الضوء على تجربته ومسيرته المهمة التي تحرّر فيها من القواعد الأكاديمية للفن، وحفر لنفسه مكانة مستقلة بين أبناء جيله والأجيال التالية بعده، وهو الذي لم يتلق دراسة أكاديمية".

وتابعت "عندما التحق للدراسة بمعهد دافنشي للفنون تعرض لواقعة طريفة، وهي أن المُعلم طلب من الدارسين رسم تمثال وضعه أمامهم، فإذا بتاد يرسمه ببراعة أبهرت الأستاذ، وقال له لا أرسم الطبيعة الصامتة أو شيئا ثابتا، أريد أن أرسم الحياة، وعندئذ نصحه بالتوقف عن الدراسة، ويترك نفسه لموهبته الفطرية تفعل به ما تشاء، وأهم ما يميز فنه التلقائية في الخطوط والتناول والألوان".

وحول خصائص المعرض الجديد قالت لـ"العرب"، "معظم أعمال المعرض تنتمي إلى الحياة الشعبية، كان تاد مغرما برسم الشوارع، ومن ذلك ما جاء في أعمال الأديب نجيب محفوظ، ويرتبط ذلك بحبه لتجسيد الجمال الحي لا الساكن، فكانت عينه تلتقط الجمال الحقيقي الكامن داخل الناس والعادات والتقاليد الأصيلة في كل مكان ويرسمها".

ورفضت زوجته التشبيه الذي قاله صديق ذات يوم، من أن تناول تاد للتراث أو الحياة الشعبية جاء بنظرة برجوازية أو أرستقراطية، في إشارة إلى نشأته في حي راق، أو بسبب أصوله الأوروبية من جهة الأبوين معا.

كان تاد مصريا في انتمائه ومشاعره حتى النخاع، ولم يكن يرسم في مرسمه فقط، إنما كان ينزل إلى المقاهي في أكثر الأحياء شعبية، كي يكون قريبا من الناس فيعبّر عنهم بصدق ومن القلب، وجلست معه زوجته في مقاهي القاهرة القديمة، وهي ترقبه في أثناء الرسم. وتستعد جيهان سلامة لإقامة معرض جديد آخر، انطلاقا من إصرارها على أن تاد لا يزال على قيد الحياة، مؤكّدة أن الفنان يبقى حيا بفنه، فالفن الأصيل لا يموت.

جيهان سلامة

منذ وفات تاد وحتى الآن، نظمت 12 معرضا إرضاء لروحه

الراحل رسم على طريقته جميع المهن الشعبية

وحول فكرة المعرض القادم كشفت لـ"العرب"، أنه سيكون تحت عنوان "عشق وعذاب"، وسيتضمن شقين، الأول: رسوم تعبيرية بالغة الحزن وتشي بالمشاعر النبيلة، وهي رسوم قدّمها بعد وفاة والدته حزنا عليها، وكان شديد التعلق بها، وهي التي اختارت له اسم الشهرة "تاد"، الذي كان أيقونة حظ بالنسبة له.

وأطلقت عليه الأم المولعة بالأدب الأوروبي اسم تاد، وهو روائي فرنسي، ومن يومها لم يناده أحد حتى زوجته وابنته سوى بتاد.

والشق الآخر هو عشق، وسيضم نحو 30 عملا رسمها تاد لزوجته خلال سنوات الإبداع والعشق الذي عاشاه معا، وهي مرحلة تشكل جزءا مهما في مشواره الفني.